

مفهوم الضبط القرآني وضوابطه

قال في الإبانة: «الضبط لزوم شيء لا يفارقه أبدا» وفي اصطلاح علماء الرسم: علم يعرف به ما يدل على عوارض الحرف، من الحركات الثلاث، والسكون والشد والمد ونحو ذلك، ويرادفه الشكل، وهو الذي اصطلح عليه في الأزمنة الأخيرة، وقد كان يسمى عند الأولين: «النقط»، وألفت بهذا العنوان كتب، ككتاب النقط لأبي عمرو الداني، أخذنا من صورة الضبط القديم، إذ كان نقطا كما سيأتي معنا تفصيله، والنقط بهذا الاستعمال أوسع دلالة من الضبط، إذ يشمل الضبط والشكل، ويشمل أيضا الإعجام الدال على ذات الحرف، وهو النقط أفرادا وأزواجا المميز بين الحرف المعجم والمهمل.

وفائدته إزالة اللبس والإشكال عن الحروف، فيميز بين المحرك والساكن، وبين أنواع الحركات، وبين المعجم والمهمل.

والضبط فن طارئ على كتابة المصحف، فلم يكن المصحف الإمام منقوفا ولا مضبوفا، شأنه في ذلك شأن الكتابة العربية القديمة، فقد كانت معراة خلوا من النقط والحركات المستحدثة، ومن ثم لم يرض كثير من العلماء أولا ضبط المصحف، والذين جوزوه، أجازوه في المصاحف التي يتعلم فيها الصبيان، و قالوا يرسم بلون مغاير لسواد المصحف.

قال ابن وهب: ..وحدثني الليثي قال: لا أرى بأسا بنقط المصحف بالعربية ، وقال ابن وهب وسمعت مالكا يقول: «أما هاته الصغار التي يتعلم فيها الصبيان فلا بأس بذلك فيها، وأما الأمهات فلا أرى ذلك» كتاب النقط ص: 133

والسبب في احتياجهم إلى ضبط الكتاب فشو اللحن وتوسع الناس فيه، وفساد السليقة العربية بالاحتكاك بلهجات الشعوب الداخلة في الإسلام، بل إن العدوى أصابت أهل اللسان العربي أنفسهم، فصار اللحن في أبنائهم، ومما يحكى في ذلك أن زياد بن أبي سفيان أمير البصرة في أيام معاوية، كان له ابن اسمه عبيد الله، وكان يلحن في قراءته، فقال زياد لأبي الأسود: إن لسان العرب قد دخله الفساد، فلو وضعت شيئاً يصلح الناس به كلامهم، ويعرفون به القراءان، فامتنع أبو الأسود، فأمر زياد رجلاً يجلس في طريق أبي الأسود فإذا مر به قرأ شيئاً من القراءان وتعمد اللحن، فقرأ الرجل عند مرور أبي الأسود ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 3] بخفض اللام، فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: معاذ الله أن يتبرأ الله من رسوله، فرجع من فوره إلى زياد وقال له قد أجبتك إلى ما سألت.

واستناداً إلى هاته الواقعة قال العلماء: إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي، وذكر أبو عمرو في كتاب النقط قولين آخرين: فقال: روينا أن المبتدئ بذلك «نصر بن عاصم» وأنه الذي خمسه وعشرها. قال وروينا أن يحيى بن يعمر هو أول من نقطها.

فكان اصطلاحهم في الضبط أولاً نقطاً تجعل فوق الحرف إشارة إلى الفتح، وأمامه إشارة إلى الضم، وأسفل منه إشارة إلى الكسر، وأول من فطره بهاته الصورة أبو الأسود الدؤلي: فقال للناطق الذي اختاره و«كان رجلاً عاقلاً فطنا: خذ المصحف وصباغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت فمي فانقط فوق الحرف نقطة، وإذا ضممتها

فانقط فوقه ، وإذا كسرتها فانقط تحته، فإذا أتبعته بغنة يعني: تنوينا، فانقط نقطتين، فبدأ بأول المصحف حتى أتى على آخره.»

فكان نقط أبي الأسود مدورا واصطلاح عليه الناس، وأخذوا به إلى أن ابتكر الخليل النقط الذي عليه الناس اليوم، والذي يسمى بالنقط المطول أو المبطوح، وهو الصور الثلاث المأخوذة من صور حروف المد، وزاد عليه الشد مأخوذا من كلمة «شديد»، والهمزة من الرأس الأعلى للعين، لشبهها بها وقربها من مخرجها، وابتكر شكل الإشمام والروم، وضبطه هو ما عليه الناس اليوم، سواء في كتابة المصاحف أو الرسم القياسي.

بعض مباحث الضبط:

• كتابة التنوين مركبا عند حروف الحلق، نحو: ﴿مُخْتَلِبًا أَكْلَهُ﴾ [الأنعام:142] ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:9] ﴿مِنْ عَيْنٍ-إِنِّيَّةٍ﴾ [الغاشية: 5] ﴿جُرْفٍ هَارٍ﴾ [التوبة:110] ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:180] / ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13]، وتضبط النون الساكنة قبلها.

• كتابة التنوين متوال عند باقي الحروف.

تشديد الحرف الموالي للتنوين والنون الساكنة، إذا كان من حروف الإدغام الستة، نحو: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:1] / ﴿هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:4] ﴿يَوْمَ يَدْعُ نَاعِمَةٌ﴾ [الغاشية:8] ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:172] / ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا تَجَزَّ بِهِ﴾ [النساء:122] ﴿مُخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ﴾ [الطلاق:2] / ﴿مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾

[البقرة: 163] ﴿ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 66] ﴿ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة: 4]

﴿ وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ بِمِثْلِ اللَّهِ ﴾ [النحل: 53]

• قلب النون الساكنة والتنوين ميما عند الباء:

• نحو: ﴿ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [الشمس: 14] / ﴿ مِّن بَعْدِ ﴾ [البقرة: 26] ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: 119] وضبطها يكون بكتابة ميم صغيرة بشق القلم فوق النون، وتصير ثاني حركة التنوين ميما صغيرة بشق القلم متوسطة الأولى.

• وضع علامة المط على حروف المد الثلاثة قبل همز أو شد.

• فمثاله في المتصل نحو ﴿ مِّن مَّاءٍ ﴾ [البقرة: 163] ﴿ سَوَاءَ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة: 48]

﴿ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ [الفجر: 25] ،

• وفي المنفصل نحو: ﴿ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ [البقرة: 3] ﴿ فَوَأْنَسِكُمْ ﴾ [التحریم: 6]

﴿ وَإِذْ أَنْبَأَهُمُ ﴾ [البقرة: 18] ،

• ومثال المد اللازم: ﴿ دَابَّةٌ ﴾ [البقرة: 163] ﴿ تَشْتَفُونَ فِيهِمْ ﴾ [النحل: 27]

﴿ أَلْتَحْتَجُونَ اللَّهَ ﴾ [الأنعام: 81]

ولا توضع علامة المط في مد البدل، ولا في حرفي المد واللين، وهو الواو والياء

الساكنتين المفتوح ما قبلهما، نحو: ﴿ السَّوَاءِ ﴾ [التوبة: 99] ﴿ شَرِّءٍ ﴾ [البقرة: 19]

﴿ سَوَاءَ اتَّيَمَّا ﴾ [الأعراف: 19].

• الإشمام: وهو عندهم أن تجعل شفتيك كهيئتهما عند التقيل.

وهو عند ورش في كلمة ﴿ سَيِّئَاتٍ ﴾ [الملك: 27] و ﴿ سِنِّءٍ ﴾ [هود: 76] و ﴿ مَا لَكَ لَا

تَأْمِنُنَا ﴾ [يوسف: 11]

وصورة كتابته أن تجعل نقطة غليظة فوق الحرف المشم، فتجعل النقطة فوق السين وفوق النون الأولى من «تامنا» وتدغم النون الأولى في الثانية وتضم شفيتيك عندها. الحروف المدية المزيدة في الرسم تجعل فوقها دارة ، للإشارة إلى عدم قرائتها، كالواو من : ﴿أَوَلَيْك﴾ [البقرة:4] و ﴿أُولُوا﴾ [النور:22] و ﴿سَأُورِيكُمْ﴾ [الأعراف:145] والياء من ﴿نَبَأِي﴾ [الأنعام:35] وبابه والألف من ﴿لَأَذُنَّحَنَّهُ﴾ [النمل:21] إلى آخره.

ضبط الهمز

كان صنيع الأولين في ضبط المصحف كتابته بلون مغاير لسواد الكتابة، وقد سبق معنا قول أبي الأسود للرجل الذي اختير لنقط المصحف «خذ المصحف وصباغا يخالف لون المداد، فإذا فتحت فمي فانقط فوق الحرف نقطة، وإذا ضممتها فانقط. فوق من أمامه، وإذا كسرتها فانقط تحته، فإذا أتبعته بغنة يعني: تنوينا فانقط نقطتين، فبدأ بأول المصحف حتى أتى على آخره»، والهمزة لم تكن في المصاحف العثمانية، بل كان موضعها خاليا، فلما اصطلحوا على ضبط المصاحف، كانت الهمزة بداءة على شكل نقط مغايرا لسواد المصحف، ثم جاء الخليل فاقتطع لها صورة من رأس حرف العين، للشبه بها وقرب مخرجيهما، قال في المورد:

وخصت العين لما بينهما من شدة وقرب مخرجيهما

لأجل ذا خطت عن الثقات عينا من الكتاب والنحاة

فكان اصطلاحهم في كتابة الهمز؛ ضبط المحققة بالأصفر، والمسهلة بالأحمر، سواء كانت مسهلة بين بين، أو مبدلة، ثم جرى صنيعهم بعد ذلك العدول عن اللون إلى النقط الغليظ المميز بين الهمز المحقق والمخفف.